الشيخ عبد الحق الحقاني ومقدمة تفسيره فتح المنان بتفسير القرآن

(دراسة تحليلية وصفية)

Shikh Abdul Haqal-Haqqani and the Preface of His Tafseer"Fath al-Mannan Bi Tafseer al-Qur'an"

(A Descriptive and analytical study)

محمد عمر فاروق[١]

الدكتور الشاه جنيد أحمد الهاشمي[٢]

Abstract:

Quranic exegetes through the ages have not only discussed their views and elaborated their thought in their commentaries on the Noble *Qur'an*, but also in the Introduction to their commentaries. *Shaykh Abdul Haq Haqqani* (d. ۱۹۱۷A.D) is one such prominent Quranic exegete and scholar who wrote the Urdu commentary on the Noble *Qur'an*, named "*Fath al-Mannan Bi Tafseer al-Qur'an*", also known as "*Tafseer Haqqani*". Among the various Urdu exegesis his work stands out in that different theological issues have been discussed in this Preface in detail, more than any other Urdu exegesis of the *Qur'an*. Similar is the case with his approach which is rational while keeping in view the traditional vision of the *Qur'an*. In this too is this work phenomenal.

The following article focuses on this important Preface to *Tafseer Fath al-Mannan* and brings out the approach of this luminary in the science of Quranic exegesis.

---

[١] طالب الدكتوراة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

[٢] الأستاذ المشارك، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم أجل الكتب قدراً، وأغزرها فائدة ونفعاً، وأجملها حكمة وبياناً، وأوضحها دليلاً وبرهاناً، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين. وبعد!

إن من أشرف العلم هو علم كتاب الله عز وجل أو ما يتعلق به من علوم القرآن وأصول التفسير وغيرهما، لقد قيّض الله عز وجل من عصر نزول كتابه إلى عصرنا الراهن علماء وفضلاء الذين قاموا بخدمة هذا الكتاب، وبيّنوا هذه العلوم حتى أصبحت خير عون للباحثين والمحققين، وللذين يريدون أن يغوصوا في هذا البحر الزاخر ويستخلصون من دررها وجواهرها المنثورة، فاهتموا بذكر هذه العلوم في تراثهم التفسيرية وبالأخص في مقدمات تفاسيرهم، والمقدمة هي زبدة أفكار صاحب الكتاب وخلاصة آرائه. فمن ذلك الأعلام الشيخ عبد الحق الحقاني، أحد من كبار علماء شبه القارة الهندية، الذي كتب تفسيراً جلياً في اللغة الأردية وسماه بـــــ"فتح المنان بتفسير القرآن" المعروف بـــــ"تفسير الحقاني" وقدّم على تفسيره مقدمة تفصيلية
هامة، وأضاف فيها بحوثاً جديدة وقيمة التي لم تناقش قبلها من خلال مقدمات التفاسير بالأخص في مقدمات تراثنا التفسيرية الأردية. ففي هذا المقال نريد أن نقدم دراسة تحليلية وصفية حول مقدمة تفسيره فتح المنان؛ حتى سهل الأمر على القارئ في معرفة آراء الشيخ الحقاني وأفكاره قبل الخوض في داخل تفسيره.

نبذة مختصرة حول حياة الشيخ عبد الحق الحقاني:

هو عبد الحق بن محمد أمير بن شمس الدين بن نور الدين الحنفي الدهلوي[٣]، أصلاً كان اسم الشيخ "غلام جهانيان" فحينما حضر الشيخ لطلب العلم في مجلس آخوند الشاه عبد

٣- انظر: تفسير فتح المنان المشهور بـــــ "تفسير الحقاني"، للشيخ عبد الحق الحقاني، ج:١، ص: ٢١٥، ط: ٢٠٠٩م، الفيصل ناشران وتاجران كتب، أردو بازار، لاهور، باكستان.

العزيز[٤] فبدّل اسمه وسمّاه بـــــــــــ"عبد الحق"[٥]. قد ولد الشيخ ٢٧ من رجب سنة ١٢٦٧ه في "كمتهله كرهـــ" –بفتح الكاف العجمي– هي قرية من أعمال "أنباله" من إقليم بنجاب[٦].

بدأ الشيخ حياته العلمية من قريته ثم سافر إلى سهارنبور[٧] واستفاد عن الشيخ أحمد علي محدث السهارنبوري[٨] ثم رحل إلى كانبور وتلمذ على يد الشيخ عبد الحق بن غلام رسول الحسيني الكانبوري[٩]، والشيخ لطف الله بن أسد الله الكوئلي[١٠]، ثم سافر إلى مراد آباد (قرية من الهند) وقرأ كتب الأحاديث على يد الشيخ عالم علي الحسيني----

---

٤- هو: الشاه عبد العزيز بن مولوي حكيم إلهي بخش بن محمد جميل، ولد سنة ١٢١١هـــ، تلمذ على يد الشيخ الشاه عبد العزيز محدث دهلوي، والشيخ محمد على الشاه الفخري، والشيخ غلام محمد الشاه الفخري، وغيره، بايع على يد الشيخ الشاه محمد غوث الشهيد، ومن خلفائه: الشاه سراج الحق، الشاه محمد عادل الكانبوري، الشاه السيد مهدي حسن، وغيره، توفي ١٠ محرم الحرام سنة ١٢٩٦هـــ. انظر: https://www.ziaetaiba.com/ur/biography/imam-ul-muhaddiseen-hazrat-allama-shah-abdul-aziz-dehlvi-١ بتاريخ: ٢٠١٩/٠٨/١٤.

٥- انظر: عقائد الإسلام، للشيخ عبد الحق الحقاني، ص: ٢٦٠-٢٦١، ط١: ١٩٨٨م، إداره إسلاميات، أنار كلي، لاهور، باكستان.

٦- انظر: المصدر السابق، ونفس الصفحة.

٧- سهارنبور: من منطقة الهند، وفيها: قرية ديوبند، نانوته، كنكوه، تهانه بهون، رائ بور، جلال آباد، شاملي وغيرها من القرى المشهورة، وفي غربها هريانه، وفي شمالها إتراكهند، وقد تجري منها نهر كنكا وجمنا. انظر: أردو دائرة معارف إسلامية (دائرة المعارف الإسلامية الأردية)، لنخبة العلماء، ج:٤، ص:١٨٣، ط١: ١٣٩٢هـــ-١٩٧٢م، جديد أردو تائب بريس، لاهور، باكستان.

٨- هو: الشيخ أحمد علي بن الشيخ لطف الله، ولد بعام ١٨١٠م بسهارنبور، ومن مشايخه: الشيخ سعادت علي السهارنبوري، والشيخ إلهي بخش الكاندهلوي، والشيخ مملوك علي، وغيرهم، ومن تلامذته: الشيخ إمداد الله مهاجر مكي، والشيخ رشيد أحمد كنكوهي، والشيخ محمد قاسم النانوتوي، وغيرهم من مشاهير العصر، قد خدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً بالتدريس، والتحقيق، والتعليق، والطباعة؛ وكان أستاذا في مدرسة مظاهر العلوم، وعيّن رئيسها بسنة ١٢٩١هـــ، توفي بعام ١٨٨٠م. انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لعبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج: ٨، ص: ١٣٥٦، ط: ١٤٢٠هـــ-١٩٩٩م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

٩- هو: الشيخ عبد الحق بن غلام رسول الهتكامي الكانبوري، كان من أحد العلماء المشهورين في الهند الذي استفاد عنه خلقٌ كثيرٌ، وقد جلس للتدريس بمدة مديدة، وكان فصيح العبارة وقوي المباحثة وغاية الذكاء، قد استفاد عن الشيخ فضل حق بن فضل إمام العمري، والشيخ أحمد النجدي المحدث، وغيرهما، توفي سنة ١٣١٣هـــ. انظر: المصدر السابق، ج:٨، ص: ١٢٦٢.

١٠- هو: الشيخ لطف الله بن أسد الله بن فيض الله الكوئلي، كان عالما كبيرا ومفتيا ومدرسا في مدرسة فيض عام وكان من أحد الأساتذة المشهورين في الهند؛ ورزق منه التلامذة النجباء الذين أصبحوا

والشيخ السيد نذير حسين المحدث الدهلوي[١١]، واستفاد في السلوك والطريقة على يد الشيخ الشاه فضل الرحمن كنج المراد آبادي[١٢] [١٣].

سكن الشيخ بعد حصول العلم في دهلي وبدأ في شعبان بسنة ١٢٩٠هـ تدريس علوم الإسلامية في "المدرسة الإسلامية" في فتح بور، ثم ترك الشيخ تدريس المدرسة بسنة ١٢٩١ه وبدأ تدريس علوم الإسلامية في بيته –المشهور في آنذاك الوقت بـ"منزل الحقاني"– فكان يحضر في ذلك المنزل طلاب مدرسة فتح بور في درس الحديث بعد صلاة الفجر، وكان يستفيد العلماء وسكان فتح بور من مجالس العلمية. وقد درّس الشيخ في "مدرسة كلكته" من ١٩١١م إلى ١٩١٦؛ ولكن لم يوافق مناخ كلكته بطبيعة الشيخ؛ حتى مرض كثيرا فسافر إلى دهلي[١٤]، وتوفي

كبار العلماء في الآفاق، ولد سنة ١٢٤٤هـ في كوئل، قد استفاد عن الشيخ المفتي عناية أحمد الحنفي، والشيخ حبيب الرحمن الشرواني، توفي سنة ١ من ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ. انظر: المصدر السابق، ج: ٨، ص:١٣٣٥.

١١- هو: الشيخ نذير حسين بن جواد علي الدهلوي، كان عالماً جلياً ومحدثاً كبيراً، ولد سنة ١٢٢٥هـ في بهار، أدرك السيد أحمد البريلوي، والشيخ الشاه إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وغيرهما، وقد استفاد كثيراً عن الشيخ الشاه محمد إسحاق الدهلوي في الحديث والإفتاء والسلوك، ومن أشهر تلامذته: الشيخ غلام رسول القلعوي، والشيخ شمس الحق، والشيخ عبد الله بن عبد الرحيم، وغيرهم، ومن مآثره العلمية: فتاوى نذيرية، وكتاب معيار الحق، وثبوت الحق الحقيق، وغيرها، توفي سنة ١٣٢٨هـ. انظر: نزهة الخواطر، لعبد الحي الحسني، ج:٨، ص: ١٣٩٣. وانظر: **ہندوستان اور علم حدیث تیرہویں اور چودہویں صدی ہجری میں** (الهند وعلم الحديث في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري)، مجموعة المقال التيرتبها: مولانا فيروز أختر الندوي، ومنها المقال: السيد نذير حسين المحدث الدهلوي وعلم الحديث، لمولانا محمد فرمان الندوي، ص: ٢٩٣-٣٠٦، ط١٤٣٣:١هـ-٢٠١٢م، الناشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي، الجامعة الإسلامية مظفر بور، أعظم كره.

١٢- هو: الشيخ فضل الرحمن بن أهل الله بن محمد فياض البكرامي المرد آبادي، ولد سنة ١٢٠٨هـ الموافق ١٧٩٣م، قد استفاد في العلوم من الشيخ الشاه عبد العزيز الدهلوي، والشيخ مرزا حسن على كبير المحدث اللكهنوي، والشيخ محمد إسحاق الدهلوي، وفي الزهد والسلوك من الشيخ الشاه محمد آفاق الدهلوي، والشيخ الشاه غلام علي الدهلوي، توفي سنة ١٣٠٥ه الموافق ١٨٨٨م. انظر: تذكرة علماء هند، للمولوي رحمن علي، ص: ٣٢٨-٣٢٩.

١٣- انظر: نزهة الخواطر، للشيخ عبد الحي الحسنى، ج: ٨، ص:١٢٦٤.

١٤- انظر: عقائد الإسلام للشيخ عبد الحق الحقاني، ص: ٢٦٠-٢٦١.

فيه١٢ من شهر جمادي الأول سنة ١٣٣٥ه الموافق بعام ١٩١٧م، ودفن بجوار خواجه باقي بالله رحمه الله[١٥] [١٦].

مآثره العلمية:

قد ترك الشيخ تراثاً علميا ثميناً؛ منه: فتح المنان في تفسير القرآن المشهور بـــــــ"تفسير الحقاني" باللغة الأردية، والبرهان في علوم القرآن باللغة الأردية (أصلا كانت هي مقدمة تفسيره، ثم طبعت مستقلاً)، والبيان في علوم القرآن (هي مقدمة ثانية لتفسيره تشتمل في ٦٠٠ صفحات ولكن لم طبعت مع تفسيره بل طبعت مستقلة وترجمت في اللغة الإنجليزية)، وترجمة كتاب "حجة الله البالغة للإمام الدهلوي" باللغة الأردية، وعقائد الإسلام باللغة الأردية، وكتاب التعليق النامي على الحسامي في أصول الفقه باللغة العربية، ورسالة "إحقاق حق وردّ شهاب ثاقب" (تشتمل الرسالة على ردّ فرقة آرية) [١٧].

قد اهتم الشيخ من خلال تراثه العلمية البحث عن المسائل الكلامية أكثر عن المسائل الأخرى المهمة لأن في عصر الشيخ قد ورد كثير من الشبهات على الإسلام وبالأخص على المسائل الكلامية من قبل الملحدين، والطبيعين، والمسيحيين، والمستشرقين، واليهود، والوثنين، والهنود، والإنجليز؛ لذا قام الشيخ بتقديم الرد على شبهاتهم من خلال تصانيفهم، وكذا اتبع الشيخ الحقاني على المنهج العقلاني من خلال مصنفاتهم لأن هذه الطائفة قد قاموا بالرد على الإسلام مع اختيار المنهج العقلاني فرد عليهم الشيخ بنفس المنهج.

١٥- هو: رضي الدين محمد باقي بن قاضي عبد السلام، المعروف بـــــ"خواجه باقي بالله" كان من أولاد على بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد بعام ١٥٦٤م في كابل، كان من كبار أصحاب السلسلة النقشبندية في السلوك، واستفاد عن علماء سمرقند، وفي السلوك عن الشيخ أمير عبد الله البلخي، قد بايع على يد الشيخ خواجه محمد أمنككي واستفاد عنه كثيراً في السلوك والزهد، ومن أشهر خلفائه: الإمام الرباني الشيخ مجدد ألف ثاني، والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، وغيرهما من كبار أصحاب السلوك وصوفياء الهند، توفي بعام ١٦٠٣م في دهلي. انظر: تذكرة خواجه باقي بالله اور صاحبزدگان وخلفاء (تذكرة خواجه باقي بالله وأولاده وخلفائه)، لنسيم أحمد الفريدي الأمروهي، ط: ١٩٨٦، سرفراز بريس لكهنؤ، الفرقان بك دبو، لكهنؤ، الهند.

١٦- انظر: المصدر السابق، وذكر الزركلي سنة وفاة الشيخ هي "١٣٣٥ه". انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ج:١، ص:٧٠، ط١٥: ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

١٧- انظر: المصدر السابق.

سبب تأليف تفسير "فتح المنان بتفسير القرآن" للشيخ عبد الحق الحقاني:

سبب تأليف التفسير كما ذكر الشيخ الحقاني بنفسه وظهر منه مقصد تأليف الشيخ ذلك التفسير فقال: جاء المسيحيون في الهند بالإلحاد والحرية والخمر وأغار على المسلمين بهذه الأشياء وبسببه تغيرت أحوالهم الدينية مع عدم استقلالهم على دينهم الإسلام قبل ذلك وأحطتهم الغفلة والتزاع والإلحاد وذهب البركة الدينية والدنيوية...، وبعض منهم ألبسوا ملابس أهل الغرب لخاطر بالهم، وبقوا على الإسلام فقط اسماً ورسماً، وأنكروا الله سبحانه عز وجل والملائكة والحشر والجزاء والعقاب والحلال والحرام، واعتقدوا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ليس رسولاً ولا نبياً بل هو ناصح فقط...فحينئذ استيقظتُ بحمية الإسلام واضطررتُ بأن أكتب تفسيراً بالأردية لكي ينتفع به أهل الإسلام...[١٨].

هذا هو السبب لتأليف التفسير، فركّز الشيخ على ردّ الشبهات الواردة من هذه الطائفة، فنجح فيما ركز عليه، هذا هو الجانب الإيجابي لهذا التفسير، أما الجانب السلبي هو عدم تركيز الشيخ إلى كثير من المسائل الهامة المتعلقة بالبحث عنها من خلال تفسيره وبالأخص من خلال مقدمة تفسيره.

أبرز المزايا لتفسير "فتح المنان":

امتاز تفسير "فتح المنان" للشيخ عبد الحق الحقاني بأمور؛ منها:

- وضوح الشيخ مفاهيم القرآن الكريم بلغة أردية واضحة وأسلوبه رائع ورصين.
- تقديمه مقدمة التفسير التي لم تكتب مثلها حتى الآن في اللغة الأردية؛ وهي مقدمة ضخيمة مهمة في علم الكلام ومفصلة في رد الشبهات التي وردت على المسائل العقدية.
- اهتمامه ببيان المسائل العقدية من صفات الله سبحانه وتعالى، وحقيقة العقل في معرفة الحق، وأهمية النبوة والرسالة، وحقيقة الوحي والإلهام، ومسألة عصمة الأنبياء.
- ذكره أسباب نزول الآية المعتمدة على الرواية الصحيحة، ونقده على الروايات الضعيفة والموضوعة.
- تخريجه الأحاديث من المصادر الأصلية من كتب الصحاح الستة وغيرها.
- تقديمه المسألة في آيات الأحكام مع ذكر اختلاف المجتهدين وأدلتهم، وبيان أسرار الحكم وحكمه.

١٨- انظر: تفسير فتح المنان، للشيخ عبد الحق الحقاني، ج:٢، ص:٤-٥.

- اكتفائه على ذكر إعراب واحد الذي يوافق بقراءة واحدة من بين القراءات المختلفة.
- إبرازه بذكر النكات البلاغة في الآيات القرآنية.
- وروده الأشعار العربية والفارسية والأردية لتعين المعنى لمفردات القرآني.
- اهتمامه ببيان مفردات القرآن وفوائد ذكرها في الآيات، وبيان أمثال القرآن، واستعاراته وكناياته ومجازاته.
- اعتماده على ذكر القصص التي تثبت من الروايات الصحيحة من الكتب السابقة مع ذكر مصدر القصة من الكتب السابقة من التوراة والإنجيل أو ما ذكرها القرآن الكريم مع احاطة الآيات التي وردت فيها القصة، ونقد الشيخ على الإسرائيليات وغيرها من الروايات الضعيفة.
- تركيزه برد شبهات الفلسفة الجديدة والقديمة، وشبهات الاعتزاليات، والإلحاد، والطبيعين، والمسيحيين، واليهود، والآرية، والوثنين، والهنود، والمستشرقين وغيرهم من الفرق الضالة، واهتم الشيخ برد عقائدهم ونظرياتهم وتاويلاتهم الباطلة.
- قيامه ببيان حقيقة المعجزة، ووجود الملائكة، وإبليس، وجنات، ويأجوج ومأجوج، ومسألة ظهور دجال، وحقيقة الجنة والنار، وكيفية الجزاء والعقاب، وغيرها من المسائل مع ذكر الأدلة العقلية والنقلية.
- تأسيسه بعلم الكلام الجديد بمقابلة أفكار الغربيين وسر سيد أحمد خان، مع استفادته بمنهج الإمام الشاه ولي الله الدهلوي وأسلوبه في الفكر والكلام، وعدم انحرافه عن مذهب أهل السنة والجماعة في علم الكلام، وترجيح مذهبهم في المسائل الكلامية.
- اختاره المنهج العقلي في رد الشبهات الواردة على مباحث علوم القرآن وأصول التفسير.
- بحثه بالتفصيل عن مسائل التصوف والسلوك.
- اهتمامه ببيان بعض المسائل المهمة في الهوامش التي تركت بوقت كتابة التفسير للإطالة.
- إضافته في آخر التفسير الرسالة المتعلقة بجغرافية العرب؛ وبحث الشيخ فيها حول أرض القرآن تفصيلاً وهي رسالة مهمة وجديرة بالبحث والتحقيق.
- اغفاله عن كثير من المسائل التفسيرية المهمة بسبب كثرة توجه الشيخ إلى المسائل الكلامية من خلال تفسيره بالأعم ومن خلال مقدمته بالأخص.

منهج الشيخ عبد الحق الحقاني في المقدمة:

لقد قسم الشيخ عبد الحق الحقاني مقدمة تفسيره إلى ثلاثة أبواب وخاتمة؛ وتفصيله كما يلي:

الباب الأول: لم يذكر الشيخ عنوانا لهذا الباب، وقسّمه إلى أربعة فصولً، وظهر منهج الشيخ فيه كما يلي:

الفصل الأول: في وجود الله تعالى وفي نبوة الأنبياء؛ فقال الشيخ فيه: أن كل ذي عقل يعرف بأن هذا العالم لم يحدث بنفسه بل لا بد أن له صانع الذي جعله من العدم إلى الوجود فهو حكيم، قوي، قادر، لا شريك له، ولا سهيم له...وليس ضروريٌ بأن يثبت هذه الأمور بدليل لأن صاحب عقل سليم لم ينكره...ثم قدم الشيخ مثالاً على وجود الصانع لهذا العالم...، وهو الله سبحانه وتعالى المتصف بصفات كمالية فدخل اليقين لموجوده عز وجل في فطرة وجبلة لكل شخص...، ثم ذكر الشيخ بالتفصيل كيفية انتظام المعاش والمعاد في الحاشية[١٩]، ثم قسّم الشيخ جماعة الأنبياء بحيث الصفات الخاصة لهم إلى ثمانية أقسام؛ (الأول) فمن يجهز بعلوم المتعلقة بتزكية النفس فسمي كاملاً، (والثاني) فمن له الغلبة في إدراك حقائق الأشياء وانكشاف أصول المعاملات فسمي حكيماً، (والثالث) فمن يميل إلى علوم السياسية ونظام الملة والقوم فسمي خليفةً، (والرابع) فمن يكون عليهم الانكشاف الكامل للعالم الروحاني والعالم الذي لم يحس فسمي مؤيد روح القدس، (والخامس) فمن يجد كثرة المادة لإنجذاب العالم وجذابة قلوب بني آدم فسمي هادياً، (والسادس) فمن يُتعلم العلوم لإصلاح الملة والمذهب وإحياءهما فسمي إماماً، (والسابع) فمن يطلع على المغيبات من العالم -بتجرد عن العلائق الجسمانية- أو يقف آفات القوم فيتنبههم عنها فسمي منذراً أو نذيراً، (والثامن) حينما تريد حكمة الله سبحانه وتعالى ورحمته اللامتناهية إصلاح الخلق فيخلق عز وجل منهم الشخص الأعلى الذي يهدي الناس ويخرجهم عن الظلمة ونفسه القدسي صافية إلى درجة الكمال ومنورة مثل الشمس واستنار الناس منها وهذا الشخص حينما يتوجه إلى حظيرة القدس فيقدر على التصرف في العالم الأجسام بل العالم الملكوت فيواقع من يده الأشياء التي تعد بخلاف العادة، ويُظهر عليه آلاف من الأشياء التي خارجة عن حس البصر والتكلم به؛ وسميت هذه الأمور معجزة وهم سمي بـــــ"أنبياء"، ثم ذكر الشيخ الفرق بين النبي والرسول والأولياء.وبعد هذا التفصيل رجع الشيخ إلى مدعاه فقال: فمن يعتقد على أن الرحيم الذي انتظم

١٩- ذكر الشيخ تفصيله في الحاشية فقال: فأول دجة لكمال الجسم فهو نفسٌ جماديٌ ثم نفسٌ نباتيٌ ثم نفسٌ حيوانيٌ ثم نفسٌ إنسانيٌ...فيعطى لنفس إنساني القواء الجمادية والنباتية لكي ينمو ويحصل الغذا وغير ذلك، والقواء الحيوانية لكي يحس ويحرك ويمشي وغير ذلك، والقواء الإنسانية لكي يحصل الأمور الكلي وغير ذلك. انظر: حاشية مقدمة تفسير فتح المنان، للشيخ عبد الحق الحقاني، رقم الحاشية: ١، ج:١، ص:٢.

برحمته الكاملة وحكمته البالغة كما قال ﴿...أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٢٠] فأيضاً هو دبرّ تدبيراً لإصلاح نفس الإنسان –فليس الإنسان المدبر هو العقل– بأن أرسل أشخاصاً الذين بعيدٌ عن الأوهام والأغلاط، وأرواحهم نظيفة عن ظلمات الهواء النفسانية وينكشف عليه حقائق الأشياء...، وفي الأخير بيّن الشيخ درجات الأنبياء عليهم السلام [٢١].

الفصل الثاني: في المعجزات؛ أجاب الشيخ فيه ثلاث أسئلة؛ ومن خلاصتها؛ الأول: ما هي المعجزة؟ فبيّن الشيخ أولاً حقيقة خارق للعادة مع بيان المصطلحات الأخرى المتعلقة بمن تثبت على يده الأشياء الخارقة عن العادة، ثم أجاب سؤاله بالتفصيل[٢٢]. والثاني: هل يمكن وجود المعجزة؟ فأجاب الشيخ سؤاله فقال: إعمال الشيء موقوف على قوة فاعله فيصدر الفعل حسب قوة الفاعل –وهي بديهية–...فالعالم العناصر والأجسام والعلويات والشمس والنجوم وغير ذلك من هذه الأشياء كانت مسخرة للقوة الروحانية فلذا انشق القمر، وجاءت الشجرة بإدعائها...وتكلم بالحجر والشجر... ثم ذكر الشيخ طريقتين لعمل القوة الروحانية، وصورتين لتقوية الروح وتجرده عنها مع الدلائل [٢٣]. والثالث: لأي الحكمة صدرت المعجزة علي النبي؟ وهل تتصدق نبوته أم لا؟ أجاب الشيخ عنه بالدلائل مع بيان خمسة فوائد للمعجزة، أسلوب القرآن في تعبير معجزات الأنبياء السابقين، وبعد هذا التفصيل ردّ الشيخ رأي السر سيد أحمد خان الذي رأى أن الناقة ليست في نفسها معجزة لصالح عليه السلام...وكذا رد على فندر الكاهن وغيرهما من المعاندين الذين ينكرون المعجزات بتأويلات فاسدة...، وكذا آراء الأخرى للسر سيد حول المعجزة وما يتعلق بها مثل رأيه: هل بعثة الرسول ضروريٌ؟ وأن ثبوت مطلق الرسالة غير موقوف على ظهور المعجزة، وهكذا آرائه وأفكاره الأخرى[٢٤].

كما ظهر من سبب تأليف الشيخ هذا التفسير بأنه ركز كثيراً على ردّ الشبهات الواردة من قبل الطائفة الملحدين، والمستشرقين، والهنود، واليهود، والمسيحيين، وغيرهم، فمن أهم المباحث الواردة عليها الشبهات مبحث المعجزة، لأن هذه الطائفة قد ردّ كثيراً على المعجزة، وناقشوها بعلوم عقلية، فقام الشيخ الحقاني بردّ شبهاتهم بمنهج عقلي.

٢٠- سورة طه: ٥٠.

٢١- انظر: مقدمة تفسير فتح المنان، للشيخ عبد الحق الحقاني، ج:١، ص:٥-٧.

٢٢- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٧-٨.

٢٣- انظر: المصدر السابق، ج: ١، ص: ٨-١١.

٢٤- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١١-١٩.

الفصل الثالث: في الملائكة

ذهب الشيخ الحقاني إلى أن جميع الحكماء والعقلاء يتفقون على "أن هناك عالم آخر – سوى عالم الحس– الذي سمي بعالم الملكوت وأحياناً بعالم الغيب"، وحينما يعتبر بأنه حالة بين عالم المجردات المحضة وعالم الحس فسمي بعالم البرزخ وأحيانا بعالم المثال، وفيه كثير من المخلوقات فمنها "الملائكة" وهذا اسم خاص لها عند أهل جميع أديان؛ حتى حكماء الروم والهند وإيران وكذا كل أهل بائبل قائلون بها، ويوجد ذكرها صراحةً في كثير من أمكنة بائبل، وكذا ذكرها بيد وبوران لأهل الهند، وكذا أهل الإسلام من السلف والخلف قائلون بوجودها؛ وذكرها القرآن الكريم في كثير الآيات، وكذا كتب الحكماء القديم يتوافر فيه ذكر الملائكة؛ لأن الجميع قد اتفقوا على هذه المسألة–أي على وجود الملائكة–. أما الدلائل التفصيلية على ثبوت هذه المسألة؛ فقال الشيخ عنها: "ليس ضروريٌ أن أقدم الدلائل على هذه المسألة"؛ لأن عليها قد اتفق جميع أهل الأديان. ومع ذلك قدّم الشيخ الدلائل لإثبات وجود الملائكة من كتب إلهامية مختلفة عند المنكرين الذين قد اعتمدوا على الفلسفة الجديدة؛ ومن دلائله: الدليل الأول: أثبت الشيخ فيه وجود الملائكة بدليل عقلي، والدليل الثاني: أثبت فيه وجود الملائكة بدليل نقلي مع ذكر الروايات الصحيحة التي تدل على وجود الملائكة، وكذا قدم الشيخ الدلائل من التوراة، والدليل الثالث: ذكر الشيخ الحقاني فيه مرة أخرى دليلاً لإثبات وجود الملائكة، ثم بحث الشيخ عن تسعة أقسام للملائكة وأثبت هذه الأقسام عن القرآن الكريم؛ فالأول: حاملون العرش، والثاني: الذين يطوفون حول العرش، والثالث: أكابر الملائكة وهما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، والرابع: الملائكة الذين يقبضون الأرواح، والخامس: ملائكة الجنة، والسادس: ملائكة النار، والسابع: الملائكة الذين يكونون مؤكلاً ومحافظاً لبني آدم، والثامن: الملائكة الذين يكتبون أعمال الناس، والتاسع: الملائكة الذين يكونون مؤكلاً على أحوال هذا العالم مع ذكر أوصافهم المختلفة الواردة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الصحيحة، ثم رد الشيخ على من ينكر الملائكة، وأحصى الأقوال المختلفة عند أهل الأديان المختلفة في حقيقة الملائكة منهم أكثر أهل الإسلام، وجمهور أهل الكتاب اليهود والسامري والنصارى[٢٥].

ثم قام الشيخ ببيان حقيقة الجن ومعناه اللغوي وأقسامه والفرق بين الملك والجن واسماء الجن المختلفة في محاورة العرب، وصلاحية الجن والملائكة، وحقيقة أمر الله الشيطان للسجدة، والمناسبة بين الملائكة والجن، مع ذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الجن. ثم بحث عن محاورات

٢٥- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٢٠-٢٦.

العرب التي وردت فيها اسماء الجن المختلفة حسب أوصافهم؛ فمنهم: العامر، والأرواح، والشيطان، والمارد، والعفريف، والهاتف، ورجال الغيب، والشهابة، والجهلّاوا (وسمي في الأردية "چهلاوه") فقال: هذه مخلوقات إلهية فلها آلاف من الأقسام التي لم يطلع عليها إلا سبحانه وتعالى العليم الخبير[٢٦].

وقام الشيخ ببيان حقيقة الشيطان وذهب إلى: أن النون في "الشيطان" رأى بعض علماء اللغة بأنه أصلي ووزنه فيعال وهو مشتق من "شطن" ومعناه "بعيد عن الصلاح والخير"، ورأى آخر بأن نونه زائدٌ ومشتق من "شاط" ومعناه "بطل"، وكذا إبليس مشتق عن "بلس" ومعناه مكارٌ، أما الكلام في "أن لفظ إبليس والشيطان المذكوران في القرآن الكريم هل يراد منهما شخصاً أو قوةً بهيميةً ونفساً أمارةً؟ فذهب جمهور أهل الإسلام بأن الشيطان شخص خاص من قسم الجن الذي أنكر عن السجدة لآدم عليه السلام، وذهب أهل الكتاب اليهود والنصارى حتى المجوس إلى أن للشيطان وجود مستقل؛ فكتب في إنجيل متى في الباب الرابع "بأن عيسى عليه السلام قد ابتلي بالشيطان" فالنصارى لم يراد منه شخصا خاصا ولا قوة بهيمية أو نفس أمارة لعيسى عليه السلام، وكذا كتب في التوراة في السفر التخليق أن الثعبان قد ضلّ حوا عليها السلام فأكلت عن الشجرة فظهر منه بأنه الشيطان الذي ظهر في شكل الثعبان...فقوله تعالى: فظهر منها بأن مادته النار وهو لطيفٌ لذا لم يحس بالبصر كما قال الله تعالى﴿...إِنَّهُۥ يَرَىٰكُم هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ...﴾[٢٧]، وكان الشيطان من قوم الجن كما قال تعالى: ﴿...كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ...﴾[٢٨] وخلق الجن من النار كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾[٢٩]، ولكن ذهب السر سيد إلى أن الشيطان هو قوة بهيمية أو نفس أمارة فقط دون سواها، ولكن هذه الآية تكفي لإبطال فكرته لأن القوة البهيمة صفة لشخص فإنكاره عن السجدة وتخليقه بمادة النار وكونه من قوم الجن ورؤيته عن ذرية آدم عليه السلام وتساؤله وأجوبته وبيانه بأني مقدم عن آدم عليه السلام بسبب مادتي وهي النار ومادته التراب ثم إخراجه عن الجنة...لن يصدق على قوة بهيمية ولن يمكن تأويله...ويا السر سيد أخبرني: إن كان الشيطان هو قوة بهيمية لآدم عليه السلام فإذاً كان وصفاً له فلماذا قال بأن مادتي النار؟ ولماذا قال الله تعالى بأنه كان من الجن؟ ولماذا عين

٢٦- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٢٦-٢٨.

٢٧- سورة الأعراف: ٢٨.

٢٨- سورة الكهف: ٥٠.

٢٩- سورة الرحمن: ١٥.

أصله أي مادته النار؟ وأنت ترى "أن سجدة الملائكة لآدم عليه السلام وإنكار الشيطان عنها هذا شيء مشكل فمعناه أن قوة ملكية هي أطاعته عليه السلام وقوة بهيمية هي أنكرت عن سجدته" فليس هذا إلا اجتماع الضدين لأن حينما يراد من الملائكة القوة الملكية التي مسخرة لآدم عليه السلام فهل يمكن أن تنكره قوته البهيمية؟ وبعكسه أي حينما أنكر الشيطان أي قوته البهيمية فإذاً ما معنى بأن قوته الملكية إطاعته؟ ولماذا تدخل تلك القوة البهيمية في النار ولماذا أخرجت عن الجنة؟[٣٠]. ثم ردّ الشيخ على الأصول الذي اختاره السر سيد لتفسيره وهو: تأويل الكلام بالمعنى المجازي بدون قرينة، فردّ الشيخ الحقاني أصوله فقال: متى يمكن إيراد المعنى الحقيقي للكلام فإيراد المعنى المجازي مخالف للعقل والنقل...فعين أهل العقل أصولاً لإيراد المعنى المجازي وهو "يبدل المعنى الظاهري للكلام إلى المجاز المرسل أو الاستعارة أو إلى كلام غير مقصود حينما إيراد المعنى الأصلي غير صحيح وتوجد للمعنى المجازي القرينة التي تمنع عن إيراد المعنى الأصلي"...ثم قال الشيخ الحقاني: الآن أنا أنظر في أينما يترك السر سيد المعنى المتعارف للقرآن الكريم خلافاً عن السلف والخلف ويدخل أفكاره الحرة في كلام إلهي، وما له القرينة؟ وما هو الأمر الذي لم يصحح المعنى الذي كان متعارفاً عند أهل زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل لسانه عليه السلام؟ وما المشكل قدّم إليه بأنه يخالف جمهور أهل الإسلام بل كل أهل الأديان من اليهود والنصارى؛ فقام بتغير معنى الملائكة والجن والشيطان إلى أن بدّل الكلام عن الحقيقة[٣١]. هكذا انتهج الشيخ الحقاني في المقدمة بأنه ردّ كثيراً على أصول السر سيد لتفسيره بمنهج استفساري وهو: قوله؛ أقول، قوله؛ أقول... [٣٢].

عادة المفسرين السابقين بأنهم لم يبحثوا عن حقيقة الملائكة من خلال مقدمات تفاسيرهم، ولكن قد أنكر الطائفة حقيقة الملائكة والجن والشياطين، لذا قام الشيخ الحقاني بالبحث عن هذه المسائل.

الفصل الرابع: في بيان الجنة

بيّن الشيخ فيه حقيقة الجنة والجهنم، وتشكيل الأعمال الإنساني بأشكال مختلفة في عالم المثال، وكيفية النعم في الجنة، وكيفية التعذيب في الجهنم، وأحوال الناس في عالم برزخ؛ ورد على من رأى بأنه وهمٌ وخيالٌ، وذكر الشيخ بعض الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تدل

٣٠- انظر: مقدمة تفسير فتح المنان، للشيخ عبد الحق، ج:١، ص: ٢٨-٣١.

٣١- انظر: المصدر السابق، ج: ١، ص: ٣١-٣٢.

٣٢- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٣٢ إلى ٦٤.

على أن هناك عالم سوى هذا العالم ويتشكل فيه كل شيء من الأعمال والأقوال وغيرهما بصورة خاصة مناسبة لهم، وكيفية الجزاء والعقاب للإنسان في الآخرة، وحقيقة حظيرة القدس واسمها، وملاقات الأرواح الطيبين أو السيئين بعد الموت وصورة أعمالهم ، وحقيقة عالم القبر بالدلائل.

وبيّن الشيخ بالتفصيل خمسة أحوال الناس في عالم برزخ؛ وقال الشيخ بعد ذكر أحوال الناس في عالم برزخ: ينظر هذه الأشياء متشكلاً في عالم برزخ إلى مدة خاصة ولكل شخص تكون حالة خاصة، ولكن حينما انتهى هذا العالم الحسي أي أنزل رداء الكثافة عنه ويصير نوراً لطيفاً المسى عالم الحشر أو يوم القيامة فإذاً تكون هذه الأشياء المتشكلة سواء من حيث النظر، وحشر الأجساد ليس حياة جديدة بل هي تكملة وتتمة للحياة الأولى...[٣٣].

قد قام الشيخ ببحث هذه المسائل من خلال مقدمة تفسيره بسبب إنكار بعض الطائفة حقيقة الجنة وأحوال نعمه، وكذا حقيقة النار وعذابه.

الباب الثاني: لم يذكر الشيخ عنواناً لهذا الباب، وقسّمه إلى ثمانية فصولٍ، وظهر منهج الشيخ فيه كما يلي:

الفصل الأول: في بيان الوحي والإلهام

ذكر الشيخ فيه معنى الوحي في اللغة وفي الشرع مع ذكر استعمال القرآن المعنى اللغوي، ثم بحث بالتفصيل عن حقيقة الوحي، واستفادة الإنسان عن الإلهام والوحي حسب المراتب باعتبار الشدة والضعف في القوة الملكية أو البهيمية، مع ذكر الفرق بين الإلهام والوحي. ثم بيّن الشيخ طرق الإلهام إلى من له القوة الملكية غالبة، فله قسمان؛ القسم الأول: فمن له القوة الملكية في الدرجة الأعلى فهم أنبياء عليهم السلام، ثم ذكر الشيخ طريقة إلهامهم حسب حالاتهم، وبحث الشيخ عن طريقتين لإرسال الرسالة بواسطة الملك، والقسم الثاني: الإلهام إلى من له أقل درجة من الأنبياء عليهم السلام، مع ذكر حكم هذا الإلهام، وبعد ذلك ردّ الشيخ شبهات السر سيد حول الوحي بالتفصيل[٣٤].

أن بحث الوحي هو من أهم البحوث التي ورد عليها كثير من الشبهات من قبل هذه الطائفة فركز الشيخ كثيراً على هذا البحث من خلال مقدمة تفسيره لكي يرد تلك الشبهات.

٣٣- انظر: المصدر السابق، ج: ١، ص: ٦٤-٧٣.

٣٤- انظر: المصدر السابق، ج: ١، ص: ٧٤-٨٤.

الفصل الثاني: في جمع القرآن

ذهب الشيخ إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع القرآن في مصحف واحد بل كان في عصره متفرقاً، وذكر الأشياء التي كتب القرآن عليها، وترتيب القرآن في الكتابة والحفظ. ثم بحث عن جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق، وفي عهد عثمان رضي الله عنه مع ذكر أسباب الجمع في عهديهما، وبعد ذلك بحث الشيخ الحقاني عن الشبهات التي وردت من قبل السر سيد ورام جندر والكاهن عماد الدين وغيرهم على جمع القرآن بالتفصيل[٣٥].

قد ورد من قبل الطائفة أن القرآن الكريم لم يجمع في النقوش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لذا بحث عنه الشيخ الحقاني وكذا المفسرون الآخرون من خلال مقدمات تفاسيرهم.

الفصل الثالث: في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

بحث الشيخ الحقاني في ذلك الفصل عن بشارة الأنبياء المتعلق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة والإنجيل وصحف الأنبياء وفي غيرهم بالإجمال وبالتفصيل. ثم ذكر الشيخ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مختصرة من ولادته المباركة إلى رسالته عليه التحية والسلام مع ذكر القصة الطويلة المنقولة في الأحاديث المتعلقة بالوحي الأول، ومدة فترة الوحي، وترتيب نزول السور القرآني بعدها، وآراء العلماء في آخر ما نزلت، وخمسة حكم لنزول القرآن تدريجا في الحاشية، ثم بحث بالتفصيل عن شبهات عماد الدين والكاهن فندر على شخصية الرسول وحياته ورسالته واجتهاداته صلى الله عليه وسلم، وقام الشيخ بذكر أجوبتهم من الكتب الإلهية السابقة[٣٦].

أصلاً هذا البحث يتعلق بمسألة الوحي، لأن الباحث حينما قام بالبحث عنه فلزم عليه أن يبحث عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم التي تتعلق مباشرة بنزول الوحي، وكيفيته، وطرقه، ومدة نزوله ومدة فترته، وكذا مسألة ترتيب نزول السور القرآني تأسس على هذه المسألة.

الفصل الرابع: في مضامين القرآن

بحث الشيخ فيه عن غرض إرسال الله سبحانه وتعالى نبيه ونزوله الكتاب عليه، وحالات العرب عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأفكارهم وعقائدهم وقسم الشيخ العرب إلى "المعطلة" و "المحصلة". وذكر الشيخ الفرق الذي ردّ عليه القرآن الكريم وهي أربعة؛ العرب المعطلة،

٣٥- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٨٨-٩١.

٣٦- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٩٢-١٠٨.

والمنافقون، واليهود، والنصارى، وانتهج القرآن منهجاً مختلفاً لرد عقائد كل فريق وشبهاتهم فذكر الشيخ هذه المناهج المختلفة للقرآن الكريم بالتفصيل مع ذكر أسلوب القرآن في ردّ شبهاتهم[٣٧].

الفصل الخامس: في علوم القرآن

رأى الشيخ بأن في القرآن الكريم قد يوجد علوماً مختلفةً التي يحتاج الناس إليها و لم يكمل نصاب الرسالة بدونها، أما العلوم التي توجد في القرآن كثيرة، ولكن بالتلخيص هذه العلوم قد تنقسم إلى خمسة، فبحث الشيخ عن هذه العلوم الخمسة بالتفصيل؛ الأول: علم المخاصمة أي ردّ عقائد الضآلين الباطلة، فأسس علم الكلام على الآيات المتعلقة بهذا العلم. والثاني: علم التذكير بآلاء الله أي بيان تخليق السماء والأرض وجميع المخلوقات الموجدة في السماء والأرض التي دالة آيات بينات وعلامات لثبوت ذات الله وصفاته، ثم أحصى الشيخ الآيات المتعلقة بهذا العلم. والثالث: علم تذكير بأيام الله أي بيان الوقائع والحوادث التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيه عباده المطيع والصالح وما أنعم عليهم في الدنيا وما في الآخرة والمعاندين والمنكرين والضالين وما عذب عليهم في الدنيا وما في الآخرة؛ لكي يحصل الإنسان النصيحة، ثم ذكر الشيخ بالتفصيل ما رعى القرآن الأمور في بيان القصص وهو ثلاثة أمور، ثم بحث الشيخ عن بعض الشبهات التي وردت من قبل الكاهن فندر وغيرهم على القصص القرآني. والرابع: علم التذكير بالموت ومابعده أي ما بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن إجمالاً حول تخليق العالم وكيفية فنائه وعلاماته وما حدث بعد الفناء وذكر الشيخ فيه أسلوب القرآن لبيانها في سور مختلفة وسبب التكرار، وبحث الشيخ عن شبهات فندر التي ذكرها في كتابه ميزان الحق، وشبهات صفدر علي التي ذكرها في كتابه نيازنامه، وشبهات عماد الدين المذكورة في كتابه هداية المسلمين حول الجنة ونعمها والجهنم وتعذيبها. والخامس: علم الأحكام؛ هي أوامر الله سبحانه وتعالى الضرورية لعباده في الدين والدنيا، فقسمه الشيخ إلى ثلاثة؛ النافعة والضارة ومساوي الطرفين، وكذا قسم الشيخ الأحكام إلى قسمين؛ النظري والعملي، ثم العملي إلى قسمين: ما هو مختص بالله سبحانه وتعالى مثل الصلاة وغيرها، وما هو مختص بالعباد؛ ثم ينقسم القسم الثاني إلى ثلاثة أقسام؛ تهذيب الأخلاق، وتدبير المترل، وسياسة البلد، وقدّم الشيخ ردّ شبهات الكاهن عماد الدين وأفكار المسيحيين وغيرهم من التيارات المنحرفة حول أحكام الشرائع السابقة والأحكام المذكورة في القرآن الكريم. وكذا قام الشيخ بالبحث عن إعجاز القرآن في هذا الفصل، وفضيلة القرآن عن جميع معجزات الأنبياء بالدلائل،

٣٧- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٠٨-١٢٣.

واختلاف العلماء في حقيقة إعجاز القرآن مع بيان عشرة أسباب لبلاغة القرآن وفصاحته [٣٨].
أصلا هذه هي التقسيم للعلوم الخمسة منقولة عن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، وهي مذكورة في كتابه الفوز الكبير، فقد اعتمد الشيخ الحقاني على ما ذكر الإمام الدهلوي، مع أن الشيخ الحقاني ذكر تفصيله أيضاً.

الفصل السادس: في علم التفسير

ذكر الشيخ الحقاني فيه اشتقاق التفسير والتأويل ومعناهما اللغوي، والمراد من علم التفسير حسب المعنى اللغوي، ونشأة علم التفسير مختصراً من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد التدوين، وتركيب علم التفسير الآن بجزئين؛ الأول: الجزء الأصلي وهو التفسير الحقيقي والجزء الثاني: حل اللغات وبيان المحاورات ودفع الإشكالات وغيرهم فسمي عقلياً، ثم ذكر حقيقة قواعد النحويين في التفسير، وتوجيهات المتصوفين، واجتهاد الفلاسفة والملحدين؛ مثل تفاسير المعتزلة وبالأخص تفسير السر سيد أحمد خان، وبعد هذا التفصيل ذكر الشيخ التعريف الاصطلاحي لعلم التفسير، وموضوعه، وغرضه، ومباديه: [٣٩].أن الطائفة قد قام بتقديم تفسير القرآن بمساعدة اللغة العربية، وأنهم اعتمدوا عليها كثيراً، واستدلالهم باللغة العربية هو من أصل أصولهم؛ بأنهم قد ردّوا كثيراً من معاني القرآن المنقولة عن السلف باستدلال اللغة العربية؛ فلهذا السبب قام الشيخ الحقاني بالبحث عن تفسير القرآن باللغة العربية من خلال مقدمة تفسيره، وقد بين الشيخ الفرق بين التفسير الحقيقي والتفسير العقلي الاجتهادي، ورجح الحقيقي حينما يعارض الحقيقي بالاجتهادي، وردّ على من رجح التفسير اللغوي الاجتهادي على التفسير الحقيقي.

الفصل السابع: في الناسخ والمنسوخ

بحث الشيخ في هذا الفصل عن الأمور الضرورية للمفسر لفهم مطالب القرآن وهي عشرة كما تلي:

الأمر الأول: معرفة الناسخ والمنسوخ، فذكر الشيخ الحقاني فيه معنى النسخ لغة واصطلاحاً، وبحث عن إطلاق الصحابة والتابعين على النسخ حسب المعنى اللغوي العام حتى وصلت الآيات المنسوخة إلى خمس مئة آية، ولكن حسب المعنى الخاص أي تبديل وصف الآية عن غيرها بانتهاء العمل فتبقى الآيات المنسوخة خمسة فجمع الشيخ تلك الخمسة، ثم قدم الشيخ الأحكام المنسوخة الواردة في التوراة والإنجيل مع ذكر اسم الكتاب ورقم الباب؛ وأجاب فيه على من اعترض على القرآن

٣٨- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٢٦-١٥١.

٣٩- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٥١-١٥٤.

الكريم في هذه المسألة، ثم بحث الشيخ عن ثلاثة صور للنسخ مع الأمثلة وهي: منسوخ الحكم وإبقاء التلاوة، ومنسوخ التلاوة وإبقاء الحكم، ومنسوخ الحكم والتلاوة كلاهما، مع ذكر من أنكر جميع هذه الصور. وكذا بحث الشيخ عن تناسخ القرآن بالحديث وذكر قسميه مع الأمثلة؛ أي نسخ الكتاب بالسنة، ونسخ السنة بالكتاب، وذكر الشيخ من اختلف في هذا الأمر ورأى بأن لم ينسخ الكتاب بالسنة ولا بعكسه بل نُسخ الكتاب بالكتاب والسنة بالسنة، ولكن خالف الشيخ الحقاني هذا الرأي.

كما ذكرنا قبل ذلك أن عادة الشيخ الحقاني في مباحث علوم القرآن وأصول التفسير بأنه اعتمد كثيراً على آراء الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، ففي مسألة النسخ قام الشيخ الحقاني بموافقة رأي الإمام بأن الآيات المنسوخة هي خمسة، مع أن الإمام الدهلوي رأى بأنه هذه الخمسة قد يمكن لها التطبيق بين الآية المنسوخة والآية الناسخة، ولكن ترك الإمام ذلك التطبيق على اجتهاد القاري ولكن الشيخ الحقاني لم يقدم ذلك التطبيق بل اعتمد على ما ذكر الإمام في هذه المسألة.

الأمر الثاني: في سبب النزول، بحث الشيخ فيه عن مفهوم سبب النزول عند الصحابة، ورأي الشيخ فيه، واعترض الشيخ على من تكلفوا في ذكر القصص الطويلة لسبب نزول الآيات القرآنية، ونصح المفسرين بأن يهتموا الشيئين في القصص التي وردت في القرآن مثل الغزوات وغيرها؛ الأول: بيّنوا القصص والحادثات بالاختصار التي وردت في الأحاديث الصحيحة المتعلقة بقصص القرآن و لم يُفهم مطالب القرآن إلا بها، والثاني: بيّنوا شرح تخصيص العام وغيره من تصرفات القصص لكي يفهم المعاني بالضبط، وكذا في آيات الأحكام وفي الآيات المتعلقة بتذكير آلاء الله والوقائع الحشرية، واعترض الشيخ على المفسرين الذين اهتموا ببيان المناسبات بين كل الآيات.

رأي الشيخ الحقاني في مسألة سبب نزول الآية وفق رأي الإمام الدهلوي تماماً.

الأمر الثالث: في بيان توجيه المشكل؛ وبيّن الشيخ فيه كيفية توجيه المشكل بين الآيات المتعارضة مع ذكر ثلاث أمثلة.

الأمر الرابع: في شرح الغريب؛ أي وجود الخفاء في معاني ألفاظ القرآن، وذكر الشيخ أسباب الخفاء، وطريقة إظهار الخفاء مع ذكر الأمثلة.

الأمر الخامس: في بيان الحذف؛ أي حذف بعض الأجزاء أو الكلام أو الأدوات من الكلام لرعاية المحاورة فعلى المفسر أي يذكر الأمر المحذوف من الكلام حتى وضّح الكلام، وذكر الشيخ أقسام الحذف مع بيان الأمثلة من القرآن الكريم وتعيين المحذوف.

الأمر السادس: في بحث الإبدال؛ أي إبدال الكلمة بكلمة أخرى لرعاية المحاورة أو لغرض آخر مثل إبدال القرآن الفعل بفعل آخر، أو إبدال المفرد بالتثنية والجمع أو بالعكس، أو إبدال الحرف بحرف آخر أو اسم باسم آخر، أو إبدال المضمر بالمظهر أو بالعكس، ثم قدم الشيخ أمثلة الإبدال من القرآن الكريم.

الأمر السابع: في علم المحاورات؛ أي محاورات العرب فاستعمل القرآن المحاورات وفق أسلوب محاورات العرب، ورأى الشيخ أن معرفة المحاورات للمفسر حتى المقدور ضروريٌ ومن لم يعرف لم يفهم مطالب القرآن، وقدم الشيخ الأمثلة من القرآن الكريم مع بيان محاورة العرب المتعلقة بتلك الأمثلة.

هذه الأمور من المباحث المهمة، وقد خطأ كثيراً من قبل الطائفة في توجيه مشكل القرآن، وشرح غريبه، وتعيين حذفه، وبالأخص في معرفة محاورات العرب التي ذكرها القرآن الكريم في نفس الأسلوب التي كانت معروفة عند العرب، ولكن قام هذه الطائفة تفسير محاورات القرآن باللغة العربية، واعتمدوا فيها على اجتهادهم اللغوي، ولكن الصحيح هو عدم قبول الاجتهاد في المسائل اللغوية، بل اللغة تعتمد على السماع فقط. فاهتم الشيخ الحقاني بالبحث عن هذه المسائل من خلال مقدمة تفسيره، وقام بالنقد على هذه الطائفة.

الأمر الثامن: في بحث المحكم والمتشابه؛ أي معرفة محكم القرآن ومتشابه، وذكر الشيخ أقوال العلماء في المراد من المحكم والمتشابه، وبيّن اختلاف العلماء في الوقف وعدمه في قوله تعالى: ﴿...وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلعِلمِ...﴾[٤٠] وذكر الشيخ الأقسام الأخرى المتعلقة بهما، وكذا ذكر الشيخ في الأخير أربع طرق التي يستدل بها على المطالب من عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص ودلالة النص، وكذا طرق أخرى مثل مفهوم الشرط ومفهوم الصفة وغيرهما.

الأمر التاسع: في بيان اختلاف القراءات؛ ذكر الشيخ فيه الرواية التي تدل على نزول القرآن على سبعة أحرف مع بيان حكم هذه الرواية واختلاف العلماء في المراد من سبعة أحرف، وكيفية إبقاء سبعة أحرف في المصاحف التي جمعت في عهد عثمان رضي الله عنه، وبحث الشيخ في هذا الأمر عن القراء السبعة من الصحابة وتلاميذهم في الأمصار المختلفة من مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام وغيرها، وكذا القراء السبعة المشهورة ورواتهم، وبحث الشيخ أيضاً عن كتابة القرآن في الخط الكوفي، ورسم القرآن، وردّ الشيخ على من رأى بأن القرآن قد حرّف فيه بحذف القراءات التفسيرية مثل تحريف التوراة والإنجيل.

٤٠- سورة آل عمران: ٧.

الأمر العاشر: في بحث تقديم الآيات وتأخيرها من حيث النزول؛ بحث الشيخ في هذا الأمر بالاختصار عن نزول القرآن مفرقا وترتيب السور والآيات ومكيتها ومدنيتها[٤١].

الفصل الثامن: في أسماء السور القرآني؛ بحث الشيخ فيه عن تسمية السور القرآني، وابتدائها بالحروف المقطعات، وعدد الآيات القرآني مع بيان الاختلاف في عددها، وتقسيم القرآن إلى ثلاثين أجزاء، وكل جزء إلى أربعة أجزاء، واستعمال علامة الركوع (ع) والعلامة الأخرى الدالة على قراءة القراء، ومسألة الوقف وعلاماته وأثره على المعاني مع بيان الأمثلة[٤٢].

الباب الثالث: لم يذكر الشيخ عنوانا لهذا الباب ولا لفصوله، وبحث فيه عن الكتب السماوية وغيرها من الكتب لأهل الأديان المختلفة، وقسّمه إلى خمسة فصول، أما منهج الشيخ في هذه الفصول كما يلي:

الفصل الأول: في التوراة والإنجيل واالزبور وصحف إبراهيم عليه السلام؛ ولكن بحث الشيخ فيه عن التوراة والإنجيل، وذكر الشيخ بالاختصار أحوال المسيحين في شبه القارة الهندية في عصر الشيخ وطريقة تبليغهم، ورأى الشيخ أن أهل الكتاب قد سموا جميع كتبهم السماوية "بائبل" (وذكر الشيخ في الحاشية بأنه لفظ يوناني ومعناه الكتاب)، وله حصتان؛ العهد العتيق أي القديم، والعهد الجديد، كما نسمى جمل القرآن آيةً فهم سمواها "ورس"، ففي الحصة الأولى ثمان وثلاثين كتاباً سمي بـــــ"التوراة"، وذكر الشيخ أسماء جميع هذه الكتب مع ذكر آراء اليهود والنصارى عن هذه الكتب وتراجمه في اللغات الأخرى وادخال المسيحين به تسعة كتب أخرى، واعتمد الشيخ في تفسيره على نسخة أردو بائبل المطبوعة من مرزا بور ١٨٦٧م، وفي الحصة الثانية: عشرين كتاباً وذكر الشيخ أسمائهم وتفصيلاتهم ومع ذلك الكتب السبعة الأخرى المختلفة بين المتقدمين والمتأخرين من المسيحيين فذكر الشيخ في آخر هذا الفصل تفصيلاتهم[٤٣].

الفصل الثاني: في تاريخ التوراة؛ ذكر الشيخ فيه بالتفصيل رأي قسيس نورتن في كتابة التوراة في عهد موسى عليه السلام وبعده مع ذكر آراء المسيحين والمستشرقين بالأدلة والمصدر، وبحث الشيخ في هذا الفصل عن الكتب المذكورة اسمائها في العهد العتيق ولكن مفقودة الآن، وقدّم الشيخ الشواهد على أن هذه الكتب ليست لموسى عليه السلام، وذكر الشيخ بالتفصيل الآراء

٤١- انظر: مقدمة تفسير فتح المنان، للشيخ عبد الحق، ج:١، ص: ١٥٤-١٧٠.

٤٢- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٧٠-١٧٤.

٤٣- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٧٥-١٨٠.

المذكورة فيها عن ذات الله عز وجل والملائكة والأنبياء عليهم السلام مع ذكر المصدر ورقم الباب، وفي الأخير قدم الشيخ بالتفصيل الوجوه على فقدان الإنجيل لعيسى عليه السلام[٤٤].

الفصل الثالث: بحث الشيخ في هذا الفصل عن "مراد القرآن عن الكتب السماوية"، وجعل المسيحيين هذا الذكر دليلاً على الكتب الموجودة عندهم بأنه صادقة، فجمع الشيخ أولاً الآيات الدالة على تصديق الكتب السماوية، ورأى بأن ما جمع المسيحيون حول أقوال عيسى عليه السلام وأحوالهم بعد وفاته في تصانيفهم وتأليفاتهم وسمواها إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا فيخالف الإنجيل الذي ذكره القرآن، وردّ الشيخ الدلائل التي قدّمها أهل الكتاب وبالأخص الملحدون وغيرهم المتعلقة بالتوراة والإنجيل -الموجودة في عصرهم- بأنهما أصلي وغير محرف[٤٥].

الفصل الرابع: بحث الشيخ في هذا الفصل عن كتب الهنود وهي أربعة ويد من: رك ويد، ويجر ويد، وسام ويد، وأتهر ويد، وذكر الشيخ بالتفصيل الآراء المذكورة في هذه الأربعة[٤٦].

الفصل الخامس: بحث الشيخ فيه عن كتب المجوس المسماة بـــــ"دساتير" وفيه نصائح، وقدم الشيخ التفاصيل لهذه النصائح واسمائها، وبحث عن مؤلفيها وعن هل هذه النصائح نقلت من الإلهام أم لا؟ فردّ الشيخ بالشواهد كثير من المعلومات المذكورة فيها ورأى بأنها ووهم وخيال ونسبتها إلى الإلهام غير صحيحة[٤٧].

مبحث كتب السماوية أو كتب أخرى عند المذاهب المختلفة مبحث جديد من حيث ذكره من خلال مقدمة التفسير، لأن عادة المفسرين -من السلف والخلف- بأنهم لم يبحثوا عنه إلا عن بعض المسائل المتعلقة بالإسرائيليات، ولكن الشيخ الحقاني اهتم بذكره لأن سبب تأليف تفسيره هو تقديم الشبهات على المباحث القرآنية من قبل الطائفة، فذكر الشيخ بالتفصيل أحوال كتب السماوية أو كتب المذاهب الأخرى.

الخاتمة: يلي الشيخ الخاتمة بآخر المقدمة، وبحث فيه عن التوجيه في معاني القرآن وتأويله، وعن أقسام فن التفسير، وذكر في الحاشية طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين، وذكر في الأطروحة خمسة أصولاً لتفسير القرآن، وبحث في الأخير عن التفاسير العربية والأردية، وذكر أحوال مفسريه

٤٤- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٨٠-١٩٨.

٤٥- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ١٩٨-٢٠٣.

٤٦- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٢٠٣-٢٠٧.

٤٧- المصدر السابق، ج:١، ص: ٢٠٧-٢١٠.

بالاختصار ومنهجهم في تفاسيرهم، وانتهى الشيخ الخاتمة بذكر الأصول التي تبعها الشيخ في تفسيره[٤٨].

مقدمة التفسير للشيخ الحقاني مختلف عن مقدمات التفاسير الأخرى حسب بحثه عن المسائل، لأن تركيز الشيخ الحقاني في التفسير وبالأخص في المقدمة على تقديم ردّ الشبهات التي وردت من قبل الطائفة، مع أن الشيخ قد توجه أيضاً إلى المسائل العامة التي بحث عنها عامة المفسرين –من السلف والخلف– من خلال مقدمات تفاسيرهم من مسألة النسخ، وإعجاز القرآن، وجمع القرآن، وحقيقة المعجزة، وغريب القرآن، وحذفه، وإبداله، ومحاوراته، وغيرها من المسائل الهامة المتعلقة بعلوم القرآن. أما مبحث كتب السماوية أو كتب المذاهب الأخرى مبحث جديد وجدير للتحقيق.

نتائج البحث والتوصيات:

قد وصلنا من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج التالية:

١. اختار الشيخ الحقاني في مقدمة تفسيره منهجاً سليماً ورائعاً في ترتيب الموضوعات وتبويبها، وعباراته موجزة واضحة وسهلة، وأسلوبه عقلاني بالعموم.
٢. كتب الشيخ الحقاني مقدمة تفصيلية، و لم توجد مثلها في تراثنا التفسيرية في اللغة الأردية من شبه القارة الهندية.
٣. بحث فيها عن المسائل الكلامية أكثر من المسائل المتعلقة بعلوم القرآن وأصول التفسير.
٤. اهتم فيها بتقديم الأدلة المنقولة من القرآن والأحاديث بعد ذكر الدليل العقلي.
٥. انتهج في بيان الأحاديث بذكر الراوي الأول ومصادر الحديث وحكمه، ونقد الحديث الضعيف، واعتمد في المقدمة عموماً على الصحيح البخاري ومسند أحمد بن حنبل.
٦. اعتمد في المسائل الكلامية على الإمام الرازي والإمام البيضاوي، وفي علوم القرآن على الإمام السيوطي عموماً مع أنه اختلف عنه في بعض المسائل، ولكن في كثير من المسائل قد اعتمد الشيخ على آراء الإمام الدهلوي.
٧. اهتم في المقدمة بذكر مباحث علوم القرآن بعنوان "الفائدة"، وتوجه إلى بيان أصول التفسير مع أنه طبّقها على الآيات القرآنية، ومن مباحثه الهامة: علوم خمسة، النسخ، وسبب النزول، وتوجيه المشكل، وشرح الغريب، وبيان الحذف، والإبدال، وعلم

٤٨- انظر: المصدر السابق، ج:١، ص: ٢١١-٢١٦.

المحاورات، والمحكم والمتشابه، واختلاف القراءات، والمكي والمدني، وأسماء السور القرآنية.

٨. امتازت هذه المقدمة عن باقي مقدمات التفاسير الأردية ببحث مستقل عن التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وتاريخ التوراة، ومراد القرآن عن الكتب السماوية، وكتب الهنود الأربعة؛ من رك ويد ويجر ويد وسام ويد وأتهر ويد، وكتب المجوس المعروف بـــ"دساتير. وهذا البحث هو من الإضافات الجديدة من خلال المقدمة.

٩. اعتمد في مسألة النسخ على رأي الإمام الدهلوي بأن خمس آيات قد نسخت، و لم يقدم التوجيه والتطبيق بين تلك الآيات الخمسة.

١٠. استعمل الجدول لمقارنة بعض الآراء في المسائل الكلامية، ونقل أقوال العلماء في المسائل المختلفة مع نسبة الأقوال إلى قائليه، وقدّم رأيه في آخر المسألة.

١١. ركز على ذكر آراء السر سيد، والكاهن فندر، وعماد الدين، وصفدر، ورام جندر الدهلوي مع ذكر مصادره، واختار الشيخ فيه منهجاً استفسارياً؛ أي قوله أقول، قوله أقول، وردّ آرائه بالدلائل النقلية عموماً.

١٢. نوصي الباحثين من الماجستير والدكتوراة بأن يبحثوا حول مباحث علوم القرآن وأصول التفسير من خلال هذا التفسير، ويمكن أن يقارنوا بتفسير آخر.